

الشجرة

قصة ابراهيم الحريري

رسوم كمال بلاطة





كانَتْ شَجَرَةُ أَحْمَدَ صَنَوبَرَةً كَبِيرَةً
عَتِيقَةً، يَسْتَنِدُ عَلَيْهَا كُوْخُ الصَّفِيحِ
الَّذي يَعِيشُ فِيْهِ مَعَ أَهْلِهِ في المُخَيَّمِ
وَبَعْدَ أَنْ



يَرُوحَ أَبُوهُ
إلى
الشُّغْلِ، وَتَدُورُ أُمُّهُ عَلَى
البُيُوتِ لِتَغْسِلَ مَلابِسَ النَّاسِ
كانَ أَحْمَدُ يَبْقَى تَحْتَ الشَّجَرَةِ.
في البِدايَةِ حِينَ كانَ أَحْمَدُ صَغِيراً،
كانَ مِثْلَ الطَّائِرِ الوَدِيعِ يُرَفْرِفُ
بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وكانَ
كُلَّما نَظَرَ إلى فَوْقٍ يُفَكِّرُ أَنَّ السَّماءَ خَضْراءُ.



كَبِرَ أَحْمَدُ وَصارَ يُمْسِكُ جِذْعَ الشّجَرَةِ وَيَقِفَ عَلَى قَدَمَيْه. وسَاعَدَتْهُ الشَّجَرَةُ عَلَى تعَلُّمِ الوُقُوفِ، ثُمَّ لَمَّا كَبِرَ أَكْثَرَ، تَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ. لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْعَدَ كَثِيراً، وَقَعَ وبَكَى. لَكِنَّهُ عِنْدَما بَكَى رأى الأغْصانَ تَنْحَنِي، تنحَني كَثيراً وَتَشُولُهُ وَتَضَعُهُ في قَلْبِهَا.





رَأَى أَحْمَدُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ أَعْشاشاً وَعَصافيرَ صَغِيرَةً
دُوْنَ رِيشٍ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ في خَوْفٍ، لَمْ يَمُدَّ
يَدَهُ إلى العَصافيرِ حَتّى
لا تَفْزَعَ، عَرَفَتِ العَصافيرُ أَنَّهُ صَغيرٌ مِثْلُهَا،
وَصَارَتْ تُزَقْزِقُ.
تَطَلَّعَ أَحْمَدُ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ إلى أَعْلَى، رأى
السَّماءَ زَرْقاءَ كَبيرَةً. تَطَلَّعَ إلى
المُخَيَّمِ ، رأى خَلْفَ الأَكْواخِ بِناياتٍ وَبِناياتٍ،
فَسُرَّ أَحْمَدُ وَصارَ يَضْحَكُ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ.





غَابَتِ الشَّمْسُ، وَعَتَّمَت الدُّنْيا، وَنامَتِ العَصافيرُ. نَعِسَ أَحْمَدُ، فَمَدَّتِ الشَّجَرَةُ أَذْرُعَهَا وَحَمَلَتْهُ وَوَضَعَتْهُ عَلَى الأَرْضِ، وأَعْطَتْهُ كُوزَ صَنوبرٍ.

وفي يَوْمٍ، كانَ أَحْمَدُ جالِساً فَوقَ شَجرَتِهِ، مَسْرُوراً مُدَلِّياً رِجْلَيْهِ، يُغَنِّي وَيُكَلِّمُ العَصافيرَ، فَرَأَى الدُّنْيا قَدْ صارَتْ حَمْراءَ مِثْلَ الدَّمِ، وَسَمِعَ أَصْواتَ انْفِجاراتٍ، وَصارَ الرَّصاصُ يَمُرُّ قُرْبَ أُذُنَيْهِ.

هَرَبَتِ العَصافيرُ الكَبيرَةُ.

أَمَّا العَصافيرُ الصَّغيرَةُ فَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَطِيرَ فَبَكَتْ.

خافَ أَحْمَدُ، وَرَمَى نَفْسَهُ مِنْ فَوقِ الشَّجَرَةِ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، وَسالَ الدَّمُ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

زَحَفَ إلى حُفْرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَتَطَلَّعَ إلى السَّماءِ الحَمْراءِ.





صَارَ الرَّصَاصُ يَنْغَرِسُ فِي الشَّجَرَةِ.
سَقَطَتْ أَكْوَازُ الصَّنَوبَرِ
وَأَعْشَاشُ العَصَافيرِ عَلَى الأَرْضِ.
اِنْغَرَسَتْ رَصَاصَةٌ في صَدْرِ
الشَّجَرَةِ، فَصَرَخَتْ: «آخ».
اِنْفَلَقَتْ، وَبَانَ قَلْبُهَا، وَسَالَ
دَمُهَا الأَبْيَضُ، نُقْطَةً، نُقْطَةً. نَزَلَتْ مِنْ عَيْنَيْ أَحْمَدَ
دُمُوعٌ كَبِيرَةٌ. ضَرَبَتْ قُنْبلَةٌ خاصِرَةَ الشَّجَرَةِ، صَارَتْ
تَتَلَوَّى، وَتَتَقَصَّفُ، ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى الأَرْضِ، وَتَمَدَّدَتْ.
صَارَتِ الشَّجَرَةُ تَصْرُخُ،
وَلا أَحَدَ يَرُدُّ عَلَيْهَا.

أَحْمَدُ وَحْدَهُ سَمِعَ، وَفَهِمَ. أَحَسَّ بِشَيْءٍ قَوِيٍّ
يَشُولُهُ مِنَ الحُفْرَةِ، وَيَضَعُهُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ.





أَحَسَّ أَنَّهُ نَعْسَانُ، وَعَتَّمَتِ الدُّنْيَا، وَتَمَدَّدَ بِجَوَارِ الشَّجَرَةِ وَنَام.
حَلَمَ بِبِلادٍ بَعِيدَةٍ لَمْ يَرَهَا، سَمِعَ عَنْهَا مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ.



وَرَأَى نَفْسَهُ قَدْ صَارَ شَجَرَةَ بُرْتُقالٍ، وأَنَّ الصَّنَوْبَرَةَ جاءَتْهُ صَبِيَّةً بِضَفَائِرَ خَضْراءَ. أَقْعَدَهَا قُرْبَهُ وَرَاحَ يَمْلأُ حِجْرَها بِالبُرْتُقالِ.

تضمّ هذه السّلسلة مجموعة حكايات مُعبّرة، أبطالها من الطيور والحيوانات والأطفال، مكتوبة بأسلوب مشوّق ومزدانة بلوحات فنيّة تساعد على توضيح أحداثها.

صدر من هذه السّلسلة:

الشجرة

الطبعة الاولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٧٧
الطبعة الثالثة ١٩٨٢
الطبعة الرابعة ١٩٨٨